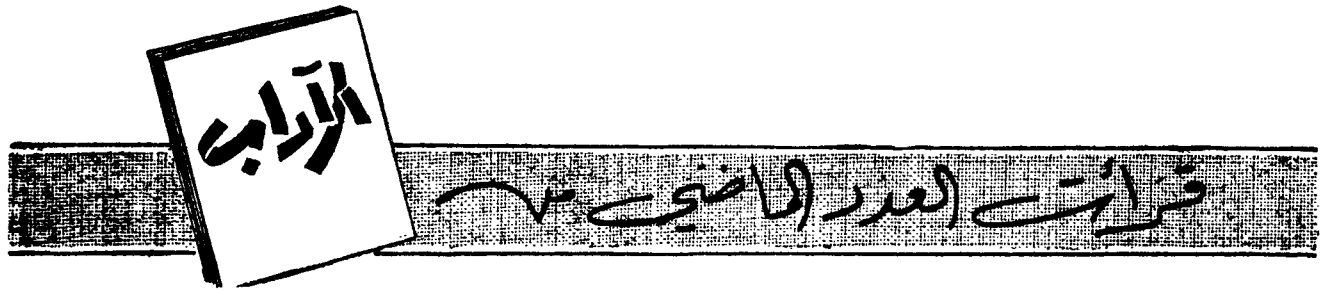

بقلم الدكتور سهيل ادريس

حفل الجزء الماضي من « الاداب » بعدد من القصائد لم يعرفها واحد من الاجزاء السابقة . ولم يكن ذلك عن قصد من التحرير ، فانه لايجب ان يرسم او يخطط للاعداد العادية من « الاداب » ، وانما يدع للادباء انفسهم باستجاباتهم الواعية او اللاواعية ان يرسموا ، ولا تفعل المجلة غير ان تنقل هذا الرسم وتقني ذلك التخطيط ، وتترك للنقاد ان يرصدوا المظاهر الادبية ويدرسوا الاتجاهات والنزعات الجديدة . وليست بي حاجة الى الترديد بان المجلة الادبية لاتستطيع ان تخلق ادبا او ادباء ، وانما هي تتيح للادباء ان يتنفسوا ليلتقط الدارسون انفاسهم ويبوتقوها في مظاهر ونزعات . وعلى هذا ، فليست المجلة مسؤولة عن الانتاج الا بمقدار الاجتهاد الذي يتيح به رئيس التحرير ظهور هذا الانتاج . وقد يكون في هذا الاجتهاد خطأ او سوء تقدير ، ولكن ذلك يظل اضعف من ان يؤدي الى تشويه حقيقة الوضع الادبي .

اقول هذا وفي ذهني بعض عبارات وردت في رسالة صديق من الادباء اثق بذوقه الادبي ، وهي تشير الى « انخفاض » في مستوى المنشور في بعض اعداد «الاداب » الاخيرة . وليس يجدينا ان نخفي هذه الشكاوى ، بل يجدينا ان نتدارسها وان نلجأ الى النقد الذاتي حين تدعو الحاجة ، حرصا منا على مستقبل الانتاج الادبي كله .

وانا اقر بان بعض الاسماء الادبية الكبيرة قد غابت عن المجلة ، ولكني لست على يقين من ان هذا قد ادى بالضرورة الى انخفاض المستوى . ذلك ان ذوق القارىء العربي يزداد رهافة وعمقا ، وان المقاييس النقدية بالتالي تزداد صرامة ودقة . فليس يكفي بعد ان يكون الاسم كبيرا ليفرض على القارىء الاحترام . وينبغي ان نعترف ، الى ذلك ، بان كثيرا من ذوي الاسماء الكبيرة باتوا مطمئنين الى ما كسبوه من شهرة ومكانة . فراحوا يتابعون انتاجا يكاد يخلو من الضمير الادبي ، ويعوزه الجهد والجد . والقارىء الواعي لا يغفر للكاتب مهما علا كعبه ان يستخف به .

والحق ان « الاداب » تؤمن بادب الشباب ايمانا كبيرا ، وتفسح في صفحاتها لكل من تستروح في انتاجه وعودا خيرة . ولست لابالغ حين اقول ان القراء قد عرفوا عن طريق هذه المجلة جيلا جديدا من الادباء له خصائص مميزة ، وهو الجيل الذي يتسلم منذ الان مقدرات الادب العربي الحديث .

ولكن اذا اعترفنا بنقائص جيل الشيوخ ، فلن يأخذنا الادعاء اخذا نتغاضى معه عن نقائص جيل الشباب ، وليس اقلها الغرور والتهور . على ان روح الاخلاص ورغبة الصدق والصراحة هما ميزتان تجعلاننا نتفاءل بانتاج ادبي يفرض به الشباب وجودهم وقيمهم الجديدة .

واحسب ان القراء المخلصين يغفرون لنا بعد ذلك ان ننشر بعض الآثار التي تحتاج الى نضج وتفتقر الى تمرس ، فان روح التشجيع لادب واعد ، ولو كان يعتوره بعض ركاكة او ضعف ، خير من خنق هذه الآثار التي قد تفقدنا مواهب كثيرة تغني ادبنا الحديث .

وليسمح لي ، بعد تدوين هذا الاجتهاد ، ان اعود الى العدد الماضي .

القصائد

خمس قصائد من وحي مأساة العراق العزيز في عهده الجديد . وهي جميعها تصور ـ على تباين ـ الزيف الذي ألحقه الشيوعيون بثورة ١٤ تموز ، والانحراف الذين انحرفته بتشجيع من الحكام الانتهازيين.

ولا ريب في ان قصيدة نازك الملائكة « ثلاث اغنيات شيوعية » خير هذه القصائد تعبيرا عن هذه المأساة ، واروعها اداء شعريا . وهي قصيدة اخرى تسجل خطا جديدا من خطوط التطور في شعر شاعرتنا المبدعة في المضمون والشكل . ان الشاعرة لا تستطيع ان تظل بمعزل عن الاحداث ، ولا يمكن لهذه الاحداث الا ان تترك فيها أثرها . وقد وضحت في انتاج نازك الملائكة الاخير تلك النزعة القومية التي كانت غائبة في كتاباتها السابقة . وهذا ظاهر في شعرها وقصتها ودراستها جميعا . انها تشارك شعبها الاهتمام بمصيره ومهمة كشف اعدائه ، وتوضيح الطريق الصاعد امامه . ولكنها تظل محافظة على فنية الاثر الادبي ، وتبعده عن اسلوب الدعاية والوعظ ، وتمارس أثرها فيه ممارسة غير مباشرة هي ابعد في النفس وافعل في الروح من اي اسلوب مباشر .

وهذه القصيدة الرائعة تعتمد اسلوبا ساخرا لا نجد له مثيلا في ادبنا، قديمه وحديثه . وتقوم هذه السخرية على استعمال طائفة كبيرة من الالفاظ والعبارات التي يتداولها الشيوعيون شعارات لهم . وهم يؤمنون بانها ذات مدلولات معينة ، غير ان الشاعرة تفضح زيف هذه المدلولات بالقرائن المختلفة التي تلحقها بها ، فتكشف بهذه الطريقة اسلوبا معروفا من اساليب النفاق الانتهازي . فان كلمتي « الجاسوسية » و «الرجعية» مثلا كثيرتا التداول في قاموس العملاء الشيوعيين . ولكن الشاعرة تجعلهما صفتين لموصوفين لا يوحيان الا بالطهارة والبراءة حين تقول « جاسوسة زنبقة » و « رجعية الياسمين » فتوحي بان ذلك يدل على منتهى الظلم والعدوان ، وتفضح نية الشيوعيين الذين يتهمون الابرياء الطاهرين بالتجسس والرجعية . وقريب من هذا المعنى حديثها عن شقائق النعمان التي هي اشرف الورود ، لانها « رمز الدم المراق ـ وباسمه نقتل حتى الربيع ـ ونذبح الاطفال » وغاية الاستهزاء بالمنطق الشيوعي تبدو في قولها على لسان أحدهم « جززت الورد من خديه حبا للسلام . » كما ان احدهم يكشف عما يبيتونه للعروبة اذ يقول ، وكأنها زلة لسان «وهذا الشذى روحه عربية . » ومن الطريف ان نرى ان الشاعرة قد جمعت في هذه القصيدة عددا من المفردات المتداولة في قاموس الشيوعيين : يعد مؤامرة ، عملاء ، نفضح ، دبرت ، روجته ، رجعية ، تزوير ، دسائس ، اراجيف ، كل ذلك في سياق شعري بارع لا نحس فيه بانها كلمات مختارة مقصودة .

غير ان لهجة هذه السخرية تتحول الى رد عنيف عميق يرد به الشيوعي نفسه على نفسه اذ يصحو ويتهاوى حلمه الاحمر حين يوقن بان الغلام الذي ذبحه ، وهو هنا رمز الشهيد العربي ، يعكر امنه وحياته،

لانه تكاثر حتى اصبح تسعين مليون عربي ، أي انه اصبح العرب جميعا. وروعة هذه الخاتمة تكمن في ان الشاعرة لم تورد هذا المعنى كاسقاط وتدخل منها ، بل اوردته محفورا في ضمير الشيوعي ، يعذبه ويؤرق نومه، فتفادت الوعظ المزعج الذي نجده في كثير من شعرنا الحديث .

وقد لا حظنا في شكل هذه القصيدة ، بعد ، تطورا واضحا في طريقة التعبير . ففيها ابتعاد عن التعقيد المعنوي واللفظي ، وفيها سلاسة وانسياب وتلقائية لا نجدها كثيرا في شعر نازك الملائكة الذي يعنى بالفكرة وظلالها عناية فائقة .

ونجد احدى صور هذه القصيدة تشكل الفكرة الرئيسية في قصيدة عدنان الراوي « آذار وانصار السلام » ، نقصد فكرة البراءة الذبيحة المتجسدة في طفل يضحى به على مذبح الانتهازية والاستغلال: « لا تتركوا الطفل الرضيع ـ فغدا سيكبر ثم يهتف بالترانيم الوفيه » وخاتمة القصيدة هي ايضا بارعة بكلماتها البسيطة المحملة بالايحاء : « يكبر الطفل الرضيع » . ولعل القارىء قد لاحظ الشبه الواضح بين هذه الصورة وصورة وردت في قصيدة نازك الملائكة ، ونكاد نجد شبها لها في قصيدة « صلاة » لشفيق الكمالي . فاذا ذكرنا ان هؤلاء الثلاثة هم شعراء عراقيون ، حق لنا ان نتنبأ بأن انحراف الثورة العراقية سيتخذ في اذهان هذا الجيل من شعراء العراق صورة طفل تغتاله ايد أثيمة ، وان بوسع التاريخ الادبي ان يضع منذ الان فصلا هاما عن هذه الفترة تحت عنوان « ثورة ١٤ تموز والطفل الذبيح » .

هذا وقد حفلت قصيدة « صلاة » ، وهي ابتهال حار صاعد من الاعماق ، بصور غنية واستعارات وتشابيه معبرة : « والمنجل يحصد في اصرار ـ زهرا انبتناه من الصخر . » ـ « الدرب تجرحه اقدام الجند الريح رصاص . » وصورة محزنة عميقة الدلالة هي صورة خلو بغداد اليوم من العذارى « في كل صباح تمضي للجدول عذراء قربانا للتنين الاصفر . » الا اننا لاحظنا غلطتين نحويتين في هذه القصيدة : اولاهما قوله عن الزهر « أسقيناه ندى العمر » والصحيح سقيناه ، والثانية جعله همزة « الاسمر » همزة وصل في قوله :

« والشارع الاسمر تخنقه القضبان » وهي همزة قطع اذا قرئت كذلك انكسر البيت .

وفي هذا السياق من المعنى تندرج قصيدة « الهرة السوداء » لعلي الجندي ، وقد رمز بقصة هذه الهرة التي أكلت صغارها الى الثورة التي أكلت نفسها . ومقدمة القصيدة تصوير بارع لترقب اطلالة الفجر وما عقب ذلك من خيبة ترمز اليها الاشباح التي لا تنام . وبعد سرد قصة تلك الهرة ، تأتي دعوة الى مواصلة الكفاح والصراع، ولكن هذه الخاتمة تبهت بالنسبة لمطلع القصيدة ويزول منها التوتر ، وتنتهي ببيت لم يكن التشبيه فيه موفقا ، ولعله سيق بالقافية « وتضحك الحياة والشفاه كالطفوله . » وقد ورد في هذه القصيدة بيت غير مستقيم ، هو قوله « اني اسليكم عن الجهد الذي تحملون » وهو يستقيم اذا جعلناها « تتحملون » (١)

وتبقى قصيدة « الكلمة اقوى من الموت » لماجد حكواتي ، وقد أهداها « الى جلادي الكلمة في بغداد من الشعراء الذين خانوا رسالتهم » فذكرنا بعدد من هؤلاء الذين ضللهم الشيوعيون او الذين وهنت قلوبهم

(١) لعل ذلك خطأ مطبعي . ونحب ان نتنهز هذه المناسبة لنعتذر الى الشعراء والى سائر كتاب العدد الماضي عن الاغلاط المطبعية الوافرة التي وقعت في مقالاتهم ، ونعدهم ان نتجنبها قدر المستطاع في المستقبل .

مؤسسة فرنكلين الساهمة للطباعة والنشر

تقدم

النقد الادبي ومدارسه الحديثة : الجزء الثاني

وهو كتاب يرجع اليه الادباء والنقاد والباحثون في المدارس النقدية التي ظهرت في الجيل الاخير .

تأليف : ستانلي هايمن
ترجمة : الدكتور احسان عباس
والدكتور محمد يوسف نجم

بالاشتراك مع دار الثقافة ـ بيروت

***

دراسات اسلامية

مجموعة مقالات تتناول : السيادة الاسلامية ابن خلدون في مصر ، الفتوة ، الاسلام والتطور ، الاسلام في التاريخ الحديث ... كتبها عدد من المستشرقين ، وترجمها عدد من الاساتذة المختصين باشراف الدكتور نقولا زيادة

بالاشتراك مع دار مكتبة الاندلس .

فانساقوا في التيار ، وفقدوا معنى الصمود الذي هو عنوان الاديب الحر. وفي القصيدة وصف موفق للكلمة النذلة التي تجري على قلم امثال هؤلاء: « الكلمة تخرج مجروحه ـ تنسل على درب مظلم ـ يجلدها من اقسم للكلمة بالاخلاص . » على اني ارى ان البيت الاخير قد سقط دون مبتغاه معنى ولفظا « لتعود حقيرا مرذولا في دنس الحماة تتمشى . »

واذا واصلنا مراجعة قصائد هذا العدد ، كان علينا ان نولي قصيدة « مدينة الغرب » لعبد الباسط الصوفي اهتماما خاصا . فهي قصيدة طريفة وعميقة في الوقت نفسه ، وهي تهز القارىء بما تثير فيه من مختلف المشاعر والصور والافكار . والشاعر يروي فيها ، عبر صورة هذا الشجر الرخو الذي اسمه « الغرب » ، قصة حياة مدينة بكاملها ، حياة شعب في مدينة ، له اخطاؤه ، ولكن له ايضا مزاياه . وفي القصيدة اثارة لقضايا هامة وعميقة منها ما يتصل بالفكر والفن ، ومنها ما يتصل بالحياة اطلاقا وكلها موضوعات موحية تدل على عمق ثقافة الشاعر وعمق حسه الفني . والحق ان كل مقطع من القصيدة يعالج قضية قائمة بذاتها ، وتبدو صورة الغرب بالنسبة اليها كاللازمة في الاغنية . والبؤرة التي تنبثق منها كل ايحاءات القصيدة هي تشبيه بعض الرجال بالغرب ، فكما ان « الغرب فن الارض » ، كذلك « بعض الرجال فن الحياة » . ويبدو الغرب كالفن، شيئا كماليا قد لا تكون له قيمة اساسية ، ولكنه من الحياة في صميمها. شانه في ذلك شأن هؤلاء الرجال المعذبين الذين يعيشون القلق والرتابة، ولكنهم مع ذلك يكونون الطليعة ، ويقفون في خط النار عندما يدعو الواجب . وهذا الغرب نفسه يصبح ، في نهاية المطاف ، حطبا للشتاء يتدفأ به المبتردون ، كما يتدفأ الشعب بنار الشهداء .

وما اغنى هذه القصيدة بالصور الرائعة ، وما احفلها بالاستعارات الجديدة والتشبيهات الفنية المثيرة : « كل الحقول جمرة من الذهب ـ من أشعل الحرف واطعم اللهب ؟ وزوق الالهام في مجرى القلم ؟ ـ كان المساء لوحة نارية ـ وانفرزت اصابع وحشية ، في مقل الشوارع القفراء، فانفجرت مصابح شوهاء ـ واغمدت نصالها الاضواء »

واذا رحت انقل صورا اخرى ، فاني اوشك ان اعيد نشر هذه القصيدة ولكني اود ان اشير الى هذه الصورة التي بلغ فيها الشاعر ذروة التوفيق باوجز الكلمات حين يتحدث عن شرفات النساء فيقول « شرفاتهن رحلة الشباب » كما ان اوميء الى نهاية القصيدة التي تستقطب ثورية هؤلاء الذين يحلمون في الصحراء بالبعث العظيم ، وينطلقون يجرفون الحدود في طريق الوحدة الكبرى : « رسالة الجيل يهز الجيل ، رسالة الصحراء والحرية ، هادرة بالبعث امة العرب ، على سنا المشاعل الثورية ، تجرف في طريقها الاسوار ، ويرقص الاحرار ، وانتظمت قوافل الثوار، وانت احطاب الشتاء يا غرب »

على ان هذه القصيدة مكثفة تكثيفا يكاد يضر بها . وظاهر ان الشاعر اراد ان يحملها مادة ملحمة كبيرة ، ولا شك في ان هذا هو الذي حمله على ان يشرح رموزها بهذه المقدمة الطويلة الرائعة التي ينبغي ان نعترف اننا كنا لولاها سنتخبط في تفسير الرموز والمدلولات الشديدة الغموض.

اما « اغنية الميناء » لعبد الرشيد الصادق فقصيدة عذبة ، حافلة بالصور البارعة ، واحاسيسها ذات نكهة ، ولهجتها ذات صوت خاص فريد. وهي تعبر عن مشاعر فتى يودع حبيبته المسافرة الى فرنسا ، فيخاطبها ملهوفا ، ويعيش مراحل الرحلة بدلا منها ، ويتوقف لدى كل مشهد ليحدث نفسه او يخاطب حبيبته على البعد ، يستولي عليه الحزن للفراق تارة فيشمله اليأس والاسى ، وطورا يتخيلها تذرف الدمع لفراقه فيستعيد طمأنينته . ويورد الشاعر في اثناء ذلك صورا تعبر خير تعبير عن حالته النفسية ، من مثل صوت البحار المبحوح يغني اغنية تستجيب لشعوره هو : « ما اكثر ما في العالم من مدن وموانٍ ـ لكني لا اهوى الا ميناء حبيبي ـ وحبيبي ليس له ثاني . » وكذلك تشبيهه لبركان فيزوف تشبيهات عديدة يستلها كلها من رعشاته النفسية : « منار في الظلمة ، مصباح يخفق في العتمة ، شفق واصيل لا ينضب ، هو باقة ورد يرفعها البحر التواق الى اعلى ، هو تاج من ذهب منصوب فوق جبين مشرق .. » انها قصيدة متوترة نابضة ، نتوسم لشاعرها غدا مشرقا .

ومثل هذا النبض نجده في « غرباء » لحسن فتح الباب ، وهي قصيدة حزينة يعكس فيها لاجيء مأساته بالضياع والغربة ، وتنثال مشاعره في اسى دامع . وتكرار كلمة غرباء في المقطع الاخير « ان تطلع شمس غرباء ، ان يهو شعاع غرباء ، غرباء في واديهم غرباء » يحمل لهجة تمزق لائع يصور المدى الملحمي لهذه المأساة المريعة .

وتمتاز قصيدتا « لا تنتظر يا قمري القبيح » لهاني صعب و « اللقاء الاول » لمختار عبد الباقي ببساطة الفكرة وسلاسة التعبير وصدقه . والاولى تسجل تطورا بينا لدى الشاعر (وهو نفسه هنري صعب الخوري) يتجلى في اختيار الموضوع وتناوله واسلوبه . وهو حديث فتاة الى حبيبها ان يطرح الجبن ويسارع الى طلب يدها ، وفي الحديث عنف اللهجة المعبرة عن نقمة متحببة تجعل الفتاة تصف الفتى بالقمر القبيح ، وفيه صورتان بارعتان شبهت المتحدثة في اولاهما نفسها بانها اذا اكرهت على

مذكرات ايدن في كتاب

اشترت « دار مكتبة الحياة » لصاحبها يحيى وكاظم الخليل مذكرات السير « أنطوني ايدن » رئيس الوزارة البريطانية السابق .

وستصدر « دار مكتبة الحياة » المذكرات في كتاب انيق ضخم ليتسنى للقراء في العالم العربي الاحتفاظ به كمرجع سياسي هام لأحداث هزت منطقة الشرق الأوسط .

ومعروف ان ما نشرته بعض الصحف في العالم العربي من المذكرات لم يعد جزءا ضئيلا منها .

وسيكون لصدور المذكرات بكاملها في كتاب عن « دار مكتبة الحياة » أهمية كبرى .

« ودار مكتبة الحياة » هي وحدها صاحبة الحق في ترجمة ونشر وطبع وتوزيع هذه المذكرات ، ولا تسامح في اي اعتداء قد يقع من جانب أي مؤسسة او فرد بالنقل ، ولو جزئيا ، الى اللغة العربية ، ليس في العالم العربي ، بل في العالم اجمع .

الزواج ممن سترحب به والدتها فستقعد تحت سقيفه « كآهة مديدة ». وكذلك تشبيه قلبها بالسمندل ، وهو طائر بالهند يمكث في النار ويستلذ بها . غير اني وجدت تعبيرا نثريا ضعيفا في قوله « خمسة احلام ... يخبرنني انك في الاخير .. لي » واما القصيدة الثانية فجدتها في انها تستخرج من لقاء عيون خضراء سلسلة من المعاني تدل كلها على مولد خلقته هذه العيون ، وهو معنى مبتكر .

اما قصيدة « الافعى الغادرة » لنذير الحسامي فهي تفيض حقدا على امرأة مخادعة غادرة ، وتلتزم لهجة هجائية لاذعة تنفث الكراهية نفثا لا يقل عن نفث تلك الافعى لسمها . وهي قصيدة كلاسيكية تحتفظ بافضل مزايا الشعر العمودي من عبارة محكمة وصورة بليغة ولفظ مختار ، ولكنها لا تنجو من بعض نقائص ذلك الشعر من حيث ايراد بعض الصور التقليدية المكرورة .

بقيت قصيدة « الشمس والنمل » وصاحبها خليل الخوري شاعر له شخصية وفن . وهذه القصيدة تجربة شعرية جديدة آثرت «الاداب» نشرها ليبدي الشعراء والنقاد رأيهم فيها ، بالرغم من ان مراميها قد غمضت علي . واحب ان اسمع رأي الشاعر نفسه ، او رأي من فهمها وقيّمها .

الابحاث

تناولت الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في مقالها « قضية الشعر العربي الحديث » دراسة شعرنا الحديث بلهجة متحمسة مؤمنة ، ليست لهجتنا اقل ايمانا منها بهذا الشعر ، وقد وضعت يدها على مزايا الانتاج الشعري الحديث في ادبنا ، وفصلت خصائصه ودافعت عن قضيته دفاعا رصينا واعيا . ومقالها جامع على قصره ، واضح كل الوضوح لا تنفذ منه اية لهجة عدوانية بالرغم مما يحيق الان بقضية الشعر الحديث من اخطار، ككل تجربة حديثة .

اما دراسة الانسة نازك الملائكة لرواية « الخندق الغميق » فنادرة هي الدراسات العربية المعمقة التي تضاهيها .

وهي دليل اخر على ان هذه الاديبة المبدعة ذات ضمير ادبي فذ ، فهي لا تستخف بأي موضوع تعالجه ، سواء اكان شعرا ام قصة ام دراسة ، وتبذل له قصارى جهدها ، فتبدو بذلك نموذجا للرصانة الادبية الجادة . وذلك يشتمل ، في دراساتها خاصة ، على جانبي التقريظ والتجريح جميعا ، اذ هي لا تطلق اي حكم من غير ان تقدم بين يديه ادلته وبراهينه ، مستقاة من الاثر نفسه ، ومن الحياة عامة .

وانا اشهد انها تعمقت رواية « الخندق الغميق » وعاشتها وحللتها كما لم يتعمقها ويعشها ويحللها كاتب ، على احترامي وتقديري لجميع ما كتبه عنها النقاد . وقد اشعرتني دراستها الواعية بشيء من الندم على اني لم اطلق لانفاسي العنان حتى اخره في هذه الرواية ، وانه كان بوسعي ان اضيف اليها اشياء كثيرة تلقي اضواء وظلالا اخرى على نفسية بطل القصة الرئيسي. وحسب الناقد ان ينبه الكاتب الى مثل هذا ليؤدي دورا خطيرا في الانتاج الادبي.

ولن اكشف جديدا اذا ذكرت بان كثيرا من المعاني والاحكام التي استنتجتها الدراسة من الرواية لم تخطر ببالي . ولكن ذلك لا يضيرها ولا يضيرني . فانا احسب اني كتبتها بصدق واخلاص ، وهذا كل همي . وللنقاد والدارسين بعد ذلك ان يحللوا ويستنتجوا ما شاءوا ، لاسيما وان مفهوم النقد قد تطور كثيرا بحيث تعدى التقريظ او التجريح الى توضيح الرموز وكشف الدلالات ، ولو كانت هذه الرموز والدلالات قد صدرت على غير وعي من المؤلف .

واقدر للانسة نازك ملاحظتها الهامة في التمييز بين دائرة الحياة ودائرة العمل الفني، فهذا دليل حسن مرهف في ادراك الحياة والعمل الفني جميعا وليس لي بعد ان اوافقها او اخالفها في تحليلاتها ، ولكن عندي بعض ردود توضيحية على بعض احكام لها احسب ان التوفيق قد جانبها فيها.

فهي تنفي مثلا ان يكون هناك صراع بين سامي وابيه . وتذكر دليلا على ذلك ان الاب لم يحل دون ان يترك سامي المشيخة او دون ان تخلع هدى الحجاب . والحق ان ترك المشيخة وخلع الحجاب ليسا الا نهاية او تتويجا لهذا الصراع الذي كان يقوم بين الاب وولديه في ميادين كثيرة تسردها الرواية . على ان اثبات هذه الحقيقة لا ينفي ان يقوم ثمة صراع بين سامي ونفسه ايضا .

وعلقت الناقدة تعليقا طويلا على اشارة المؤلف الى الحرب العالمية الثانية ، على اعتقاد منها بان هذه الاشارة لا قيمة لها ، بل هي تخالف الضرورة الفنية . وارى ان الانسة نازك لم تتابع ذيول هذه الاشارة . فقد وردت العبارة في السياق التالي : « وقسره ابوه قسرا بعد يومين على ان يرافقه الى حلب . وكان قد مرت عليهما ثلاثة ايام حين اعلنت الحرب العالمية الثانية ، فلم تتيسر لهما العودة الى المصيف الا بعد يومين وهناك وجدوا ان معظم المصطافين قد غادروا القرية ، والفى منزل سميا مغلقا .. »

ويتضح من هذا ان اهل حبيبته قد غادروا المصيف في اثناء غيابه بحلب ، في شهر آب (الشهر الثامن كما اشارت الى ذلك الناقدة) والمعروف ان المصطافين في جبال لبنان لا يغادرون المصايف الا في آخر ايلول . افلا يعني ذلك ان قيام الحرب هو الذي فصل بين الفتى وحبيبته،

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ ـ تلفون ٢٧٦٨٣

سعيد تقي الدين	رياح في شراعي
جورج مصروعة	هنيبعل (جـ ١)
حبيب صوايا	البيتون المسلح
هندرسون	صحة الطفل
ميشال الحايك	المسيح امام المسلمين

مستقبل الديمقراطية ومفاهيمها

مصطفى عوض الكريم	فن التوشح
عبد الرحمن بن خلدون	التعريف بابن خلدون
رئيف خوري	الدراسة الادبية
بنوا ميشان	ربيع العرب
سامي الصلح	مذكرات
جورج صيدح	حكاية مغترب
ادمون كسبار	الوصايا والهبات والارث

وحرمه من رؤيتها طوال شهر على الاقل ، مما كان يمني نفسه به ؟ والحق ان هذا الفراق المفاجيء قد قصّر مدة شهر كامل اجمل فترة عاطفية في حياة الفتى ، لان هذا الفراق كان شبه ايذان بانتهاء الحب ... وعلى هذا تكون الحرب هي التي جنت على هذا الحب .. أفليس هذا مبررا كافيا للتوقيت وللاشارة الى الحرب ؟

ثم ان من المفهوم ان قضية الحرب وتأثيرها على الوطن وما الى ذلك ، خارج كله عن منطق وعي الفتى المراهق . ان كل ما همه ان هذه الحرب حرمته من حبيبته ، فكانت حدثا هاما في تاريخ عاطفته . ولعل خير تفسير لذلك ، العبارة التي تلي فورا العبارة المذكورة اعلاه ، ونصها : « وحين استقلوا السيارة ، القى على الشرفة العليا نظرة اخيرة اغرورقت لهـا عيناه بالدموع .. » وذلك ارهاصا منه بضياع هذا الحب الرائع ، من جراء قيام الحـرب .

واحسب ان النص على اصابة سامي بالتيفوئيد لم يكن ، هو ايضا ، شيئا نافلا لاضرورة له . فقد ادت هذه الاصابة الى دفع « رفيق » لزيارة صديقه في بيته ، ولتكرار هذه الزيارة في اثناء مرض سامي وبعده . وقد كان ذلك فرصة لقاء رفيق بهدى وقيام ذلك الحب الذي شغـل حيزا ذا شأن في القسم الثاني من الكتاب .

ولا ادري كيف وجدت الانسة نازك ان استعراض ذكريات حيـاة سامي المدرسية في المعهد الديني « لايضيف الى احداث الرواية شيئا ، ولا يلقي حتى لمسة تحليل على سيرة سامي نفسه » الا توحي الصور التي رسمها بفكرة كافية عن ضحالة التعليم الديني وانعدام قيمته على الشكل الذي كان يعطى فيه ، وعدم جدية الدراسة اجمالا ، مما سيزهد سامي بالدراسة الدينية ، ويسر له ، الى جانب عوامل اخرى ، خلع الجبة والعمـة ؟

وذكرت الناقدة ، في معرض التساؤل عن دافع المؤلف لتغيير لهجة الحديث بين القسمين الاول والثاني ، ان القسم الاول كان « يتبع الاسلوب المسمى بالمونولوج الداخلي ، وفيه تابع المؤلف عـواطف سامي وافكـاره بضمير الغائب ... » واعتقد ان في هذا الكلام خلطا واضحا . فالمونولوج الداخلي هو الذي يتحدث فيه البطل مع نفسه ، ويحللها ويسائلها ويرد عليها ، وهذا ماتعنيه كلمة « مونولوج » اساسا . والمعروف ان المؤلف حين يعمد الى هذا الاسلوب ، يتنحى عن الرواية والسرد ليجعل البطـل نفسه يروي ويسرد ، وليس الامر كذلك في القسم الاول الذي يروي فيه المؤلف الاحداث بضمير الغائب . وتأتي هنا المناسبة لتوضيح قصدي مـن جعل القسم الثاني مكتوبا على لسان هدى . فانا اعتقد اولا بان ضمير المتكلم اقدر والصق بطبيعة الحياة من ضمير الغائب على التعبير عـن الخلجات ، ثم اني اردت ان القي الضوء على سامي من جهة منحازة ، مشاركة ، هي جهة هدى ، بعد ان كانت اللهجة في القسم الاول محايدة ، بعيدة . وتسليط الضوء بهذا الشكل يكشف جوانب اخرى من نفسيـة البطل ، وهذا ماتنبهت اليه الانسة نازك . وقد احسست بعد ذلك ، حين فرغت من كتابة القسم الاول ، بان سامي ، على كونه يظل البطل الرئيسي في القصة ، مدعو ، بعد هذه الفترة من تاريخ تكونه ، الى امرين متوازيين : ان يتابع تطور نفسه ، وان يعي وضعه في اسرته . والحق انه قـد بدأ يعي ، فاصبح يفهم ـ ولو فهما غامضا ـ بان عليه ان يؤثر علـى محيطه وعلى افراد اسرته ، ولا سيما على هدى التي كانت بطبعهـا وشوقها للعلم اقرب الناس اليه ، ومن وجهة نظر فنية محض تراعي حرارة اللهجة في الحياة ، فضلت ان اجري الكلام على لسان هذه التي «تتعرض» للتأثير ، فتكون اقدر على تصويره وتقديره ، وهي التي تعيشه ، مـن راو محايد .

وقبل ان افرغ من هذه النقطة ، اود ان اعلق على قول الناقدة : « ومن الحق ان نلاحظ ان ذلك يفاجيء القارىء مفاجأة غير هينة « .... » وقد كانت المفاجأة تهون لو ان المؤلف تحدث عن هدى بالمونولوج الداخلي كمـا تحدث عن سامي .»

وأقول متسائلا : متى كان المطلوب من الروائي الا يفاجيء قارئه ؟ وهـل من المرغوب فيه ان يحاذر المؤلف مفاجأة قارئه ، وان يراعي كل مايحدس به وكل مايتوقعه ؟ وايا ما كان ، فاني احاذر شيئا اخر ، هو الذي تمنته الانسة نازك لتهوين المفاجأة : ان اتحدث عن هدى كما تحدثت عن سامي. فانا اعتقد بان افسد ما يفسد التكنيك في رواية اوتوبيوغرافية ان يتحدث المؤلف عن ابطاله واحدا واحدا . وانما ينبغي ان يبرز الابطال جميعـا من خلال البطل الرئيسي ، عبر افكاره ومشاعره .

بقي امر اخير ألحت الناقدة عليه الحاحا شديدا في اثناءحديثها العميق عن مراحل التطور لدى سامي ، وهو امر الصراع بين داعي الواجـب وداعي الحياة في النفس . فانا لا افهم اصرار الانسة نازك على نصب هذا الصراع ، واقامة سد منيع بين الواجب والحياة . فهل يمتنع على انسان ان يوفق بين داعي الواجب وداعي الحياة ؟ اليس ثمة من يؤمـن بان الحياة الانسانية الحقة الرائعة هي في ان ينقاد للواجب عن طـوع واختيار ؟ وانه حين يقصر في الواجب ، يلح عليه ندم وتبكيت ضميـر تبدو الحياة نفسها معهما شيئا لايطاق ؟ ان الانسة نازك تجعل الحيـاة نقيض الواجب ، كما لو ان الحياة لاتدعو الا الى عدم الاضطلاع بالواجب ، والى الاستسلام للضعف والنزوة . ولست ادري ان كانت الحياة هـي هـذا ، وليست غير هذا !

ماذا تقرأ هذا الشهر ؟

دار العلم للملايين توفر عليك عناء الاختيار

فتقدم اليك أحدث إنتاجها :

يعقوب صروف	للدكتور فؤاد صروف	١٠٠
المواطن توم بين	تعريب الاستاذ منير البعلبكي	٥٠٠
وضاح اليمن«الكتاب الاول من سلسلة آفاق عربية»للاستاذ اكرم الرافعي		٢٥٠
بيت في الكوفة « الكتاب الثاني من سلسلة آفاق عربية		٢٥٠
تطور معنى القومية	للدكتور منيف الرزاز	١٠٠
تبر وتراب	« شعر » ايليا ابي ماضي	٣٠٠
الجداول	شعر » » » »	٣٠٠
الخمائل	» » » »	٣٠٠
مواليد الارق	للاستاذ محمد النقاش	٣٠٠
الزنزانة رقم ٢٤٥٥	لكاريل تشيسمان	٤٠٠
٢٤ ساعة من حياة امرأة	لستيفان زفايغ	...
دفاع عن الاسلام	تعريب الاستاذ منير البعلبكي	...
وراء القضبان	لكاريل تشيسمان	...

وكذلك الرأي في وضع المثالية والانسانية على طرفي نقيض ، كأنما يستحيل على المثالي ان يكون انسانيا ، والعكس بالعكس .

ولا بد لي اخيرا من ان اعود فأدعو النقاد الى احتذاء هذا النموذج الرائع في الضمير الادبي الواعي ، ازاء كل عمل من انتاجنا الحديث . فما احوجنا الى مثل هذه الدراسات ، وكم سيكون لها من شأن في تأريخ النقد الادبي عندنا .

الناقد : ضمن محمد عبد الله الشفقي هذه الدراسة خواطر متناثرة عن الناقد ، فبين انه فنان ازداد ادراكه وفنه بوعيه ، ففقد السذاجة والغرابة والجهل المفروضة في كل فنان ، وتحدث عن المجاملة التي تؤدي الى حاجة الناقد الى العزلة والترفع ، وعن موقف نقادنا من نظريات النقاد الاجانب ، وطالب بان يقول النقاد العرب رأيهم في الآثار الاجنبية . ولكن الكاتب انكر على الناقد ان يستخرج ماليس في الاعمال الادبية ، وهذا موضع نقاش . فانه يحق للناقد في رأينا ان يستوحي الاثر الادبي ما شاء، والناقد الحق هو الذي يعني بانارة الاثر وكشف جوانب الغموض فيه وتعليل الاحداث وربطها بالمعطيات المادية والنفسية للكاتب واستيلادها واستخراج الجمالات اللاواعية في الاثر الادبي . والمقال طيب بالاجمال ، رغم افتقاده الخيط الذي يلم البحث في هيكل متناسق .

واشير اخيرا الى بحث بعنوان « الادب بين الواقع والوجدان » بقلم يوسف حوراني ، وقد وجدت فيه اطلاقا للاحكام غير مبرر . فهو مثلا يشجب الواقعية الحديثة كليا من غير ان يقدم لهذه النزعة تعريفا بسماتها ومظاهرها . ولسنا ندري كيف استنتج الكاتب بان هذه الواقعية تطلب من الفنان ان يصبح انسانا عاديا في نظرته للاشياء والاحداث ، كما اننا نرى قوله « ان الفن هو بطبيعته هروب من الواقع » امرا قابلا للنقاش ، فالفن ليس هو الواقع حتما ، ولكنه ليس هروبا من الواقع كذلك . انه قد يكون تجاوزا له ، ولكن هذا التجاوز ينبغي الا يتناقض ومعطيات الواقع حتى لايفقد صلته بنسغ الحدث الانساني ، فيسقط في الخيال المحض . وقد كنا نود من الكاتب ان يوضح لنا مفهومه الحقيقي « للوجدان » لنتمكن من تقييم دعوته الى ما سماه «الواقعية الوجدانية».

القصص

قصة سليمان فياض « اللص الحارس » قصة غير عادية ، قصة غريبة ، ومن غرابتها تنشأ قيمتها . ثلاثة اشباح يتحركون في الظلام : لص يسرق ليعيش ، وسائق لوري يساعده ليعيش ، وحارس يحرس ليعيش . انه صراع من اجل اللقمة . ويقتل الحارس اللص ، لانه لو لم يفعل ، لقتله اللص ، اما السائق فيفر بسيارته . ومقتل اللص هو الذي يثير فكرة القصة : بشاعة هذه الحياة التي تبعث على التقزز والاشمئزاز . لقد اخذ الحارس ، بعد ان قتل اللص ، يتأمل عينيه المفتوحتين بلا معنى ... وشعر بحنان نحوه ، وقال لنفسه : « أهذا هو الموت اذن ؟ » ومن هذه العبارة تنبثق فلسفة القلق الوجودي الذي يحس به كل انسان تمزقه مفارقات الحياة . فنحن نشعر بعطف خاص على اللص الذي كان بوسعه أن يقتل الحارس ، ولكنه لم يفعل لانه لم يكن يقصد الى الشر ، وان كان يريد السرقة ليعيش . وهكذا ينبعث من القصة في نهاية الامر ، لهجة تشاؤم من هذه الحياة الظالمة الموئسة .. كل ذلك ، من غير موعظة او خطاب اخلاقي . انك تحس به احساسا باطنيا صادقا .

وقد كتب سليمان فياض هذه القصة بلهجة واقعية جافة ، حادة ، صارمة . وكانت الاحداث هي التي تتكلم . ونحسب انه لو لم يتحدث تارة عن نفسية اللص وتارة عن نفسية الحارس ، فبرز كمؤلف يرصد الاحداث ويصفها ، واشعر القارىء بوجوده ، لولا ذلك ، ولولا ان اللغة كانت تقصر احيانا وترك ، بالنسبة لمتانة البناء ، لخلت القصة من اي مأخذ .

ومن الغريب والطريف ان نقرأ في العدد الماضي نفسه قصة اخرى بعنوان « حادثة نشل » بقلم صابر الحضري تشبه شبها عجيبا قصة « اللص والحارس » بما توحيه من تفكير وتأمل . وهي حكاية نشال في اوتوبيس ينشل محفظة نقود رجل عجوز كان عائدا على التو من المعمل الذي اقيل منه وصرفت له في ذلك اليوم مكافأته . وحدث بعد ان نشل عزيز العجوز حامد ، ان سمعه يحدث نفسه بصوت منخفض عن اسرته وفقره ومشاريعه لانفاق المال وانقاذ افراد عائلته ، فتأثر لذلك وقرر ان يعيد له المحفظة ، « فيفعل الخير لاول مرة في حياته » ولكن حامد تنبه فجأة لضياع محفظته ورأها في يد النشال المرتجفة فانقض عليه ، واستعدى عليه الناس الذين اخذوا يضربونه ، واستاقه شرطي الى القسم وهو يصفعه .. « فأحس وهو يصفع ويضرب بدمعة حائرة تهبط من عينه ، وما لبث ان ابتسم في شماتة وهو ينظر للناس .. »

ان هذا الموضوع يثير ابتسامة سخرية من نزعة الخير لدى الانسان : فلو لم يتأثر النشال لحال حامد لفاز بالمحفظة وانقذ نفسه من الاعتقال والاهانة . ولهذا نراه يبتسم بسمة شماتة .. شماتة من نفسه لانه ترك لعاطفته ان تشفق على ذلك المسكين الذي نشله .. والحق ان القارىء يتنازعه شعوران وهو يقرأ نهاية هذه القصة : شعور انساني بالعطف على النشال الذي تأخذه الشفقة على ضحيته ، فيستعد للعدول عن النشل ، وشعور سوداوي يزيل ذلك الشعور الانساني اذ يحمل القارىء على تصور بشاعة هذه الحياة التي لاتتيح حتى للاشرار ان يعدلوا عن ارتكاب شرورهم .. وفي هذا سخرية من الحياة نفسها . وانا اعتقد ان القارىء يؤثر لو انهى الكاتب قصته عند الاحساس الاول ، لينتصر الشعور الانساني ، وان كانت الحياة حقا تخلق احيانا لدى الانسان مواقف غير انسانية . ولكن متى كان القصاص ملزما بتصوير معطيات الحياة تصويرا فوتوغرافيا ، وبعدم تجاوزها ؟

والمأخذ الذي لاحظناه على القصة السابقة ، نلاحظه على هذهالقصة، وبصورة ابرز ، فقد كان الكاتب يظهر ظهورا مزعجا حين يتحدث تارة عن حامد ، وتارة عن عزيز ، فيشعر القارىء بان عينه ترصد الحركات ، وقد كان بوسع الكاتب ان يصف كل شيء عبر نفسية النشال عزيز ، وكان بوسعه ليشرح وضع حامد ، ان يجعله يتحدث مثلا مع زميل له صعد الاوتوبيس بصحبته ، فسمع النشال قصته بصراحة ، من غير ان يضطر الى جعله يتحدث مع نفسه ، وهو موقف لايخلو من غرابة .

واما قصة « الثلج والشرف » لعثمان سعدي فتصور بعض مايعانيه الجزائريون الابطال من ظلم المستعمرين الفرنسيين وعدوانهم ، فتاة يطاردها الجنود بين الثلوج ،فتشل قدمها من شدة البرد والجري هربا من ان يعتدي الجنود على شرفها . غير ان تناول الموضوع ضعيف ، والجانب الفني فيه باهت ، لان لهجة التقرير والموعظة غالبة عليه .

سهيل ادريس